

٤١١- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ (قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ : تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ) .

١- معنى الحديث :

قال النووي : قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ هَذِهِ الْبُشْرَى الْمُعْجَلَةُ لَهُ بِالْخَيْرِ، وَهِيَ دَلِيلٌ عَلَى رِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ، وَحُبِّهِ لَهُ، فَيُحِبُّهُ إِلَى الْخَلْقِ كَمَا سَبَقَ فِي الْحَدِيثِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. هَذَا كُلُّهُ إِذَا حَمَدَهُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ مِنْهُ لِحَمْدِهِمْ، وَإِلَّا فَالْتَعَرُّضُ مَذْمُومٌ.

وقال ابن الجوزي رحمه الله : والمعنى: أن الله تعالى إذا تقبل العمل أوقع في القلوب قبول العامل ومدحه ، فيكون ما أوقع في القلوب مبشرا بالقبول ، كما أنه إذا أحب عبداً حبه إلى خلقه وهم شهداء الله في الأرض .

وقال القاضي عياض -رحمه الله-: (تلك عاجل بشرى المؤمن) أي: عنوان الخير له، ودليل على رضا الله عنه وحبه له، بدليل الحديث المتقدم (ثم يُوضَعُ له الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ) وهذا كله إذا كان حمدُ الناس له عليه من غير طلبه ذلك وتعرُّضه له؛ فإنَّ هذا أصلُ الرياءِ وأعظمُ الآفاتِ لإفساد الأعمال، وهلاك العاملين لها، وتزْيِينِ الشَّرِّكِ، وقوله: «تلك عاجل بشرى المؤمن» أي: البشـرى المعجَلة .

وقال أبو العباس القرطبي -رحمه الله-: قوله (أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ) يعني: الرَّجُلَ الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ خَالِصًا، وَلَا يَرِيدُ إِظْهَارَهُ لِلنَّاسِ - لِأَنَّهُ لَوْ عَمِلَهُ لِيَحْمَدَهُ النَّاسُ أَوْ يَبْرُوهُ لَكَانَ مُرَائِيًّا، وَيَكُونُ ذَلِكَ الْعَمَلُ بَاطِلًا فَاسِدًا - وَإِنَّمَا اللَّهُ تَعَالَى بِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ وَكَرَمِهِ يَعَامِلُ الْمُخْلِصِينَ فِي الْأَعْمَالِ الصَّادِقِينَ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ اللَّطْفِ، فَيَقْدِفُ فِي الْقُلُوبِ مَحَبَّتَهُمْ، وَيُطْلِقُ الْأَلْسِنَةَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ؛ لِيَنْوِيَ بِذِكْرِهِمْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى؛ لِيَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ، وَيَنْشُرَ طَيْبَ ذِكْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ لِيُقْتَدَى بِهِمْ، فَيُعْظَمَ أَجْرُهُمْ، وَتَرْتَفِعَ مَنَازِلُهُمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى اسْتِقَامَةِ أَحْوَالِهِمْ، وَيُبَشِّرَ بِحَسَنِ مَا لَهُمْ، وَكَثِيرِ ثَوَابِهِمْ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ .

وقال ابن رجب -رحمه الله- : إِذَا عَمِلَ الْعَمَلَ لِلَّهِ خَالِصًا، ثُمَّ أَلْقَى اللَّهُ لَهُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، فَفَرِحَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَاسْتَبَشَّرَ بِذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ .

وقال السيوطي رحمه الله : أي هذه البشـرى المعجلة دليل للبشـرى المؤخرة إلى الآخرة .

وقال المظهري -رحمه الله-: (تلك عاجل بشرى المؤمن) يعني: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا خَالِصًا لِلَّهِ، وَلَيْسَ فِي قَلْبِهِ رِيَاءٌ، أَعْطَاهُ اللَّهُ ثَوَابِينَ: ثَوَابًا فِي الدُّنْيَا، وَثَوَابًا فِي الْآخِرَةِ، فَثَوَابُهُ فِي الدُّنْيَا: أَنْ يُوقَعَ مَحَبَّتُهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وَيُوقَعَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ذِكْرُهُ بِالْخَيْرِ ... وَثَوَابُهُ فِي الْآخِرَةِ: اللَّقَاءُ، وَالْجَنَّةُ؛ يَعْنِي: لَا بَأْسَ بِمَدْحِ النَّاسِ الرَّجُلَ الصَّالِحَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ رِيَاءٌ وَسَمْعَةٌ .

وسئل ابن عثيمين : ما معنى الحديث الذي يقول (تلك عاجل بشرى المؤمن) ؟

فأجاب رحمه الله تعالى : المؤمن يبشر في الدنيا بعمله الصالح من عدة وجوه :

أولا : إذا شرح الله صدره إلى العمل الصالح وصار يطمئن إليه ويفرح به كان هذا دليلا على أن الله تعالى كتبه من السعداء؛ لقول الله تبارك وتعالى (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) فمن بشرى المؤمن أن يجد من نفسه راحة في الأعمال الصالحة ورضا بما وطأئينة إليها ؛ ولهذا كانت الصلاة قرة عين رسول الله ﷺ .

ومن البشـرى للمؤمن : أن يثني الناس عليه خيرا ؛ فإن ثناء الناس عليه بالخير شهادة منهم له على أنه من أهل الخير .

ومنها : أن تُرى له المرائي الحسنة في المنام .

٢- روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ) قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: (الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ).

وروى الترمذي وحسنه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (هُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فَقَالَ: (هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ).

قال السعدي رحمه الله: أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق .

٣- قال الشيخ فيصل ابن المبارك -رحمه الله-: في هذا الحديث أَنَّ مَنْ أَخْلَصَ الْعَمَلُ لِلَّهِ تَعَالَى أَطْلَقَ اللَّهُ الْأَلْسِنَةَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ -عز وجل-، قال الله تعالى (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * هُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

٤- قال الشيخ ابن عثيمين : (تلك عاجل بشرى المؤمن) وهو الثناء عليه؛ لأن الناس إذا أثنوا على الإنسان خيراً فهم شهداء الله في أرضه .

ولهذا لما مَرَّتْ جَنَازَةٌ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ أَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، قَالَ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرَّتْ أُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، قَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «أَمَّا الْأَوَّلُ: فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَأَمَّا الثَّانِي: فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ؛ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ» فهذا معنى قوله: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ».

والفرق بين هذه وبين الرياء: أن المرائي لا يعمل العمل إلا لأجل الناس؛ ليراه الناس، فيكون في نيته شرك مع الله غيره، وأما هذا: فنيته خالصة لله -عز وجل-، ولم يَطْرَأْ عَلَى بَالِهِ أَنْ يَمْدَحَهُ النَّاسُ أَوْ يَذْمُوهُ، لكن الناس يعلمون، كما قال الشاعر:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ** وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

...، فإذا علموا بطاعته مَدَحُوهُ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، فهذا ليس برياء، هذا عاجل بُشْرَى الْمُؤْمِنِ؛ حيث إن الناس أثنوا عليه خيراً، وَمَنْ أَثْنَى النَّاسُ عَلَيْهِ خَيْرًا فَحَرِيٌّ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أما المرائي -والعياذ بالله- فإنه إن صلى يريد من الناس أن يعلموا بذلك، إن تَكَلَّمَ بخير أراد من الناس أَنْ يَسْمَعُوهُ؛ لِيَمْدَحُوهُ عَلَى هَذَا . انتهى

٥- قال ابن هبيرة -رحمه الله-: في هذا الحديث من الفقه: الدلالة على أَنَّ حَمْدَ النَّاسِ الْمُؤْمِنِ عَلَى خَيْرٍ فَعَلَهُ بِشْرَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَعَجَّلَهَا؛ إِذْ هُمْ شُهُودُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَسْتَجِيزُونَ أَنْ يَمْدَحُوهُ وَيَثْنَوْا عَلَيْهِ إِلَّا فِيمَا يَكُونُ لِلَّهِ -عز وجل- رِضًا، كما أَنَّهُمْ لَا يَسْتَجِيزُونَ أَنْ يَذْمُوهُ إِلَّا عَلَى مَا هُوَ غَيْرُ رِضًا.

٦- حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَى الْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ، وَصَفَاءِ الْأَجْرِ مِنَ الشَّوَائِبِ.

٧ - التَّوَضُّعُ فِي صَنْعِ الْمَعْرُوفِ؛ لِيَنَالَ صَاحِبُهُ الْجَزَاءَ مِنَ اللَّهِ، وَالْحَبْ مِنْ النَّاسِ.

٨ - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ صَانِعَ الْمَعْرُوفِ، وَيُحِبُّ الشَّاكِرَ عَلَيْهِ، فَحُبُّ النَّاسِ لِلْمَرْءِ هُوَ بَوَاضِعُ اللَّهِ قَبُولَهُ فِي الْأَرْضِ

٩- فضل الإخلاص في العمل ، وأنه سبب للقبول والرفعة .

١٠- فيه حثٌّ على فعل الخير ولو لم يطلب الإنسان من الناس أن يمدحوه؛ لأن ثناءهم إن جاء بعد ذلك فهو من البشارة العاجلة.

١١- النية هي الأساس؛ فالعبرة بأن يكون العمل لله تعالى، لا طلباً لمدح الناس.

٤١٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَنْ عَالَ جَارَيْتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ « وَضَمَّ أَصَابِعَهُ »).

=====

(من عال) أي: قام عليهما بما يُصلحهما، ويحفظهما.

قال النووي رحمه الله: معنى عالهما: قام عليهما بالموئنة، والتربية، ونحوهما، مأخوذ من العول، وهو الثُّرْب، ومنه: ابدأ بمن تعول، ومعناه: جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين.

(جاريتين) أي: بنتين.

(حتى تبلغا) أي: تدركا البلوغ، أو تصلا إلى زوجهما.

(وَضَمَّ أَصَابِعَهُ) أي: أصبعيه، وهما الوسطى، والتي تليها، كما هو مفسر في رواية ابن حبان؛ يعني: أنه ﷺ قرن بين إصبعيه.

١- الحديث دليل على أفضل عول البنات والقيام عليهن وتربيتهن .

فهو يكون مرافق للنبي ﷺ .

كما في حديث الباب .

وسبب للنجاة من النار .

كما في حديث عائشة قَالَتْ (جَاءَنِي امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا فَسَأَلَتْنِي فَلَمْ يَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَأَخَذَتْهَا فَفَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَمَنْ تَأْكُلُ مِنْهَا شَيْئًا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْنَتَاهَا فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثَنِي حَدِيثَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ) .

وسبب في دخول الجنة .

قال ﷺ (مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ يُؤْوِيَهُنَّ، وَيَكْفِيَهُنَّ، وَيَرْحُمُهُنَّ، فَقَدْ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَثْنَتَيْنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَثْنَتَيْنِ) .

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ (جَاءَنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطْعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ) .

٢- خص لنبي ﷺ البنات بدون الذكور لأمرين:

أحدهما: لأنهن لا يتعلق طمع الأب منهن من الاعتضاد بهن، والوصول على الأعداء بقوتهن، وإحياء اسمه، واتصال نسبه، وغير ذلك كما يتعلق بالذكر.

الثاني: لأن العرب كان من شأهم الأنفة من البنات حتى كان منهم الوأد الذي أخبر الله عز وجل به عنهم من قتلهم البنات .

قال ابن حجر -رحمه الله-: تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالبًا عن القيام بمصالح أنفسهن بخلاف الذكور؛ لما فيهم من قوة البدن، وجزالة الرأي، وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: ... وذلك أن البنت قاصرة ضعيفة مهينة، والغالب أن أهلها لا يأبهون بها، ولا يهتمون بها؛ فلذلك قال النبي ﷺ : من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين .

٣- قال ابن هبيرة -رحمه الله-: قوله (من عال جاريتين) كأنه إذا كان للرجل البنت الواحدة وكانت مع ذكر لم يكن تبرمه بها كما إذا كانتا اثنتين، فالاثنتان على الرجل أشد من الواحدة، وهذا إنما ذكره رسول الله ﷺ لأنه جمع أنثى إلى أنثى، فهو ضم شيء إلى شيء، حتى قال فيه قوم: إنه أقل الجمع، فيدل نطق هذا الحديث أن من كان له ثلاث بنات أو أربع أو أكثر كان قُرْبُهُ إلى رسول الله ﷺ بنسبة ذلك إذا عَاهَنَ.

٤- قال ابن حجر -رحمه الله-: والظاهر أن الثواب المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر إلى أن يحصل استغناؤهن عنه بزواج أو غيره، كما أُشير إليه في بعض ألفاظ الحديث، والإحسان إلى كل أحد بحسب حاله، وقد جاء أن الثواب المذكور يحصل لمن أحسن لواحدة فقط .

٥- الحديث يشمل غير البنات كالأخوات .

فقد جاء في الحديث (من عال بنتين أو أختين أو خاليتين أو جدتين أو عمّتين، فهو معي في الجنة كهاتين) .

٦- قوله : (جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه) .

قال ابن حبان -رحمه الله-: أراد به في الدخول والسبق، لا أن مرتبة من عال ابنتين أو أختين في الجنة كمرتبة المصطفى ﷺ سواء .

٧- قال الصنعاني -رحمه الله-: وفيه فضيلة عظيمة لمن كان له ما ذكر، ولا بد من تقييده بالصبر والاحتساب كما في غيره، فلا يتضجر من تربيتهما، فيحرم من كفالتهما، كما يقع كثيرًا للأنام.

٨- قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- ويؤخذ من هذا الحديث ... أنه ينبغي للإنسان أن يهتم بالأمور التي تقرّبه إلى الله، لا بالأمور الشكليات، أو مراعاة ما ينفع في الدنيا فقط، بل يلاحظ هذا ويلاحظ ما ينفع في الآخرة أكثر وأكثر .

١٣٤- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ (جَاءَنِي مَسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَيَّ فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطَعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ) .

=====

(جاءني مسكينة تحمّل ابنتين لها، فأطعمتها) أي: أعطتها طعاماً.

(ثلاث تمرات) تقدّم في الرواية السابقة أن قالت: " فلم تجد عندي شيئاً غير تمر واحدة، فأعطيتها إياها"، والأقرب في الجمع الحمل على تعدّد القصّة.

(فأستطعمتها ابنتاه) أي: سألتها تلك التمرة.

(فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما) هذا من شدّة رافتها بابنتيهما، ولذا وجب لها الجنة.

(فأعجبتني شأنها) أي: حالها الذي جرى بينها وبين ابنتيهما في تلك التمرة، وفي رواية ابن حبان: فأعجبتني حناها.

(إن الله قد أوجب لها) أي: لهذه المرأة.

(بها) أي: بسبب هذه الصنعة، وهي إثارة ابنتيهما على نفسها بتلك التمرة،

(الجنة، أو أعتقها بها من النار) وفي رواية ابن حبان: إن الله قد أوجب لها الجنة، وأعتقها بها من النار .

١ - هذه الأحاديث دليل على فضل رحمة البنات والإحسان إليهن والقيام بما يصلحهن، وأن ذلك من أسباب النجاة من النار.

ومن الأحاديث أيضاً :

عن عائشة قالت (جاءني امرأة ومعها ابنتان لها فسألني فلم نجد عندي شيئاً غير تمرٍ واحدة فأعطيتها إياها فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئاً ثم قامت فخرجت وابنتاها فدخل على النبي ﷺ فحدثته حديثها فقال النبي ﷺ: من ابنتي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار) متفق عليه .

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضَمَّ أصابعه) رواه مسلم والترمذي ولفظه (من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين) وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها.

د- وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ (من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة) رواه الترمذي.

هـ- وعن عتبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن، وكساهن من جدته كن له حجاباً من النار يوم القيامة) رواه ابن ماجه.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من كان له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن، وجبت له الجنة البتة، قيل يا رسول الله فإن كانتا اثنتين؟ قال: وإن كانتا اثنتين) رواه أحمد.

وعند الطبراني من حديث ابن عباس (فأنفق عليهن وزوجهن، وأحسن أدبهن).

٢ - قوله ﷺ (من ابنتي من البنات بشيء) إنما سَمَّاهُ إِيْلَاءً لِأَنَّ النَّاسَ يَكْرَهُوهُنَّ فِي الْعَادَةِ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ). (شرح مسلم)

٣ - وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ بِالْإِحْسَانِ هَلْ يَفْتَصِرُ بِهِ عَلَى قَدْرِ الْوَاجِبِ أَوْ بِمَا زَادَ عَلَيْهِ؟

وَالظَّاهِرُ الثَّانِي: فَإِنَّ عَائِشَةَ أَعْطَتِ الْمَرْأَةَ التَّمَرَةَ فَاتَّرَتْ بِهَا ابْنَتَيْهَا فَوَصَفَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْإِحْسَانِ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْحُكْمِ الْمَذْكُورِ، فَذَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ مَعْرُوفًا لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَيْهِ أَوْ زَادَ عَلَى قَدْرِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ عُدَّةً مُحْسِنًا، وَالَّذِي يَفْتَصِرُ عَلَى الْوَاجِبِ وَإِنْ كَانَ يُوصَفُ بِكَوْنِهِ مُحْسِنًا لَكِنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْوَصْفِ الْمَذْكُورِ قَدْرٌ زَائِدٌ وَشَرْطُ الْإِحْسَانِ أَنْ يُوَافِقَ الشَّرْعَ لَا مَا خَالَفَهُ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الثَّوَابَ الْمَذْكُورَ إِنَّمَا يَحْصُلُ لِفَاعِلِهِ إِذَا اسْتَمَرَ إِلَى أَنْ يَحْصُلَ اسْتِعْنَاؤُهُنَّ عَنْهُ بِزَوْجٍ أَوْ غَيْرِهِ كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ. (الفتح)

٤ - من المعلوم أن العرب في الجاهلية كانوا لا يحبون البنات، ويتربعون الأولاد، للوقوف إلى جانبهم ومساندتهم في حياتهم وحروبهم.

أما البنت فكانوا لا يحبونها، وكان عدم حبهم لها والخوف من عارها يحمل بعضهم على كراهتها بل وعلى قتلها ووأدها.

كما قال الله تعالى (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ).

وقال تعالى (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ).

حتى بعث الله نبينا محمداً ﷺ ، فجَرَّمَ وحرَّم هذه الفعلة الشنعاء وهي وأد البنات.

فعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، وأود البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال) متفق عليه.

قال ابن حجر: قوله ﷺ (ووأد البنات) هو دفن البنات بالحياة، وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك كراهة فيهن.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (مَنْ وُلِدَتْ لَهُ ابْنَةٌ فَلَمْ يَتُدَّهَا وَلَمْ يُهْنَهَا، وَلَمْ يُؤَثِّرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ) رواه أحمد.

وهذان الحديثان وما جاء في معناه يدلان صراحة على أنَّ البنات كنَّ محلاً لجهالات وتُغضب بعض العرب إبان بعثة النبي ﷺ.

٥ - تأكيد حق البنات؛ لِمَا فِيهِنَّ من الضعف غالباً عن القيام بمصالح أنفسهنَّ، بخلاف الذكور؛ لِمَا فِيهِمْ من قوة البدن، وجزالة الرأي، وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال.

٦ - قال ابن هبيرة - رحمه الله -: في هذا الحديث ما يدل على شرف الإنفاق على العيال ولا سيما البنات؛ فإنَّهن لا يتعلق طمع الأب منهن من الاعتداد بهنَّ، والصَّوْل على الأعداء بِقُوَّتِهِنَّ، وإحياء اسمه، واتصال نسبه وغير ذلك كما يتعلق بالذكور، فلما زاد الإناث على الذكور في درجة إخلاص المنفق عليهنَّ لله، فإنه يستر منهن عورات في البيوت، ويرزق منهن حرمًا لا يَطْفُرُ الكسب على أنفسهن.

٧ - سخاء عائشة - رضي الله عنها -؛ لكونها لم تجد إلا تمره فأثرت بها.

٨ - أن القليل لا يمتنع التصديق به؛ لحقارته، بل ينبغي للمتصدق أن يتصدق بما تيسر له قَلَّ أو كثر.

٩ - جواز ذكر المعروف، إن لم يكن على وجه الفخر، ولا المنة.

١٠ - فضل الإحسان في الأعمال لقوله (فأحسن إليهن ...).

١١ - بعض الأسباب التي تنجي من النار:

أولاً: الرحمة والعطف على البنات.

كما في حديث الباب.

ثانياً: الصدقة.

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وقال ﷺ (ليتق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة) رواه أحمد.

وجاء عند الطبراني من حديث فضالة بن عبيد مرفوعاً (اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً، ولو بشق تمرة).

ولأحمد عن عائشة بإسناد حسن (يا عائشة استتري من النار، ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان)

وقال ﷺ (يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ) متفق عليه.

ثالثاً: البكاء من خشية من الله.

قال ﷺ (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) رواه الترمذي.

وقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان).

رابعاً: الصيام:

قال ﷺ (الصيام جنة يستجن به من النار) رواه أحمد، وفي رواية (وحصن حصين من النار).

وقال ﷺ (من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً) متفق عليه.

خامساً: والاستجارة بالله من النار.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ (من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار

ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار) رواه الترمذي.

والنبي ﷺ في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم، اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار، وفتنة النار، وفتنة القبر "رواه البخاري).

ولذلك من صفات عباد الرحمن أنهم يقولون (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً).

سادساً: المحافظة على صلاة الفجر والعصر.

قال ﷺ (لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) رواه مسلم.

سابعاً: الجهاد.

قال ﷺ (من اغبرت قدماءه في سبيل الله فهما حرام على النار) رواه الترمذي.

ثامناً: حسن الخلق.

قال ﷺ (من كان سهلاً هيناً ليناً حرمه الله على النار)

تاسعاً: عتق الرقاب.

قال ﷺ (من أعتق رقبة مؤمنة كانت فكاهه من النار).

عاشرأ: الكلمة الطيبة.

للحديث السابق (فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ).

قال النووي: فيه أن الكلمة الطيبة سبب للنجاة من النار.

الحادي عشر: التوحيد بإخلاص وصدق.

قال ﷺ (إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله) متفق عليه.

٤١٤- عن عائشة قالت (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا

نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ تَعَالَى) .

=====

(وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ) أي : أصيب بأذى من قول أو فعل .

(فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ) أي : فلا ينتقم لنفسه .

(إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى) وانتهاك حرمة الله تعالى: هو ارتكاب ما حَرَّمَهُ الله تعالى .

(فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ تَعَالَى) غضباً لله تعالى .

١- الحديث دليل على سعة عفو النبي ﷺ وسعة حلمه .

٢- فضيلة العفو عن الناس فيما يتعلق بحق الإنسان نفسه.

٣- الغضب لله لا ينافي الحلم والأناة والرفق والعفو.

٤- الغضب ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: مذموم.

وهو الغضب الدنيوي الذي حذرنا منه النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة في قوله ﷺ للرجل : لا تغضب .

القسم الثاني: وهو محمود.

ما كان لله وللحق.

كحديث عائشة هذا قالت عائشة (وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمت الله) .

وغضب ﷺ لما شكى إليه الإمام الذي يطيل بالناس صلاته حتى يتأخر بعضهم عن الصلاة معه، غضب واشتد غضبه ووعظ الناس وأمر بالتخفيف.

٥- إقامة ﷺ حدود الله على من يستحقها ولا يمنعه من ذلك رفقته ورحمته؛ لأن ذلك من رحمة المحدود.

٦- الدلالة على أهمية الجهاد في سبيل الله وأنه من صفات المرسلين.

٧- فضيلة الغضب لله والانتقام لدين الله.

وقد أخرج الحاكم ... (ما لعن رسول الله ﷺ مسلماً بذكر - أي: بصريح - اسمه، ولا ضرب بيده شيئاً قط، إلا أن يضرب بها في سبيل الله، ولا سُئل في شيء قط، فممنعه، إلا أن يُسأل مأثماً، ولا انتقم لنفسه من شيء، إلا أن تُنتهك حرمت الله، فيكون لله ينتقم ...) الحديث.

وأخرجه الطبراني في "الأوسط" من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه (وما انتقم لنفسه، إلا أن تُنتهك حرمة الله، فإن انتُهكت حرمة الله كان أشد الناس غضباً لله) .

٨ - وجوب الغضب لله إذا انتهكت محارمه.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- الغضب لله ولشرائع الله محمود، وهو من هدي الرسول ﷺ ودليل على غيره الإنسان وعلى محبته لإقامة شريعة الله، أما الغضب للنفس فينبغي للإنسان أن يكتمه، وأن يحلم .

٩- وقد جاء في الصحيحين عن عائشة (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل) .

وقد تمثل النبي ﷺ هذا النوع الحمود من الغضب في عدة مواضع ومن ذلك :

أ- عن عائشة رضي الله عنها (أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ : أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) متفق عليه .

ففي هذا الحديث : غضب الرسول ﷺ عندما انتهكت حرمة الله وهي أن أسامة بن زيد رضي الله عنه شفع في حد من حدود الله ، وقد نبه أسامة رضي الله عنه فقال له معاتباً مع أنه حبه : أتشفع في حد من حدود الله ، ثم قام ونبه وخطب أصحابه فكان توجيهاً للأمة من بعدهم على عدم جواز الشفاعة في حدود الله .

ب- وعن عائشة رضي الله عنها قالت (دخل علي رسول الله ﷺ ، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه، وتلون وجهه وقال: «يا عائشة: أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله) رواه مسلم . القرام: الستر الرقيق.

وفي هذا الحديث : غضب النبي ﷺ لما رأى تلك التصاوير المحرمة .

ج- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (قسم النبي ﷺ قسمة كعبض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله قلت أما أنا لأقولن للنبي ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فساررت فشق ذلك على النبي ﷺ وتغير وجهه وغضب حتى وددت أني لم أكن أخبرته ثم قال : قد أؤذي موسى بأكثر من ذلك فصبر) رواه البخاري.

وكان غضب النبي ﷺ في هذه الحادثة غضبة لله .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث : وفيه أن أهل الفضل قد يغضبهم ما يقال فيهم مما ليس فيهم .
 د- عن زيد بن خالد الجهني (أن النبي ﷺ سأل رجل عن اللقطة فقال: اعرف وكاءها ... قال: فضالة الإبل؟ فغضب حتى احمرت وجنتاه، أو قال: احمر وجهه فقال: وما لك ولها! معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء وترعى الشجر، فذرهما حتى يلقاها ربها، قال: فضالة الغنم؟ قال: لك أو لأخيك أو للذئب).

قال ابن حجر : قوله (فغضب) إما لأنه كان نهي قبل ذلك عن التقاطها، وإما لأن السائل قصر في فهمه ففاس ما يتعين التقاطه على ما لا يتعين .

ه- وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: (قال رجل: يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول الله ﷺ ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضباً منه يومئذ، ثم قال: (يا أيها الناس إن منكم منفرين فمن أم الناس فليتجز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة) متفق عليه .

٤١٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ . فَهُوَ أَهْلُكُهُمْ) .

=====

(فَهُوَ أَهْلُكُهُمْ) أَشَدُّهُمْ هَلَاكًا .

١- معنى الحديث :

إذا قال الرجل: هلك الناس، يريد بذلك إنقاصهم وتحقيرهم والترفع عليهم، لما يرى من نفسه فضلاً عليهم، فقد صار بذلك أعظمهم هلاكاً، وهذا على رواية الرفع: "أهلكهم" .

وأما على رواية النصب: "أهلكهم" فمعناه: كان سبباً في هلاكهم حيث قنطهم وأياسهم من رحمة الله تعالى، وصدّهم عن الرجوع إليه بالتوبة، ودفعهم إلى الاستمرار فيما هم عليه من القنوط، حتى هلكوا.
 وهذه أقوال بعض العلماء :

قال النووي -رحمه الله- واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزاء على الناس، واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم، وتقيح أحوالهم؛ لأنه لا يعلم سرّ الله في خلقه، قالوا: فأما من قال ذلك تحزناً لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين، فلا بأس، كمن قال: لا أعرف من أمة النبي ﷺ إلا أنهم (لا) يُصَلُّون جميعاً، هكذا فسّره الإمام مالك، وتابعه الناس عليه.

وقال الزرقاني -رحمه الله- (إذا قال الرجل هلك الناس) إعجاباً بنفسه وتبهاً بعلمه أو عبادته، واحتقاراً للناس .

وقال ابن عبد البر -رحمه الله- هذا معناه عند أهل العلم: أن يقولها الرجل احتقاراً للناس وإزاءً عليهم وإعجاباً بنفسه، وأما إذا قال ذلك تأسفاً وتحزناً وخوفاً عليهم؛ لقبیح ما يرى من أعمالهم، فليس ممن عني بهذا الحديث.

والفرق بين الأمرين: أن يكون في الوجه الأول راضياً عن نفسه معجباً بها، حاسداً لمن فوقه، محتقراً لمن دونه، ويكون في الوجه الثاني ماقناً لنفسه، موبخاً لها، غير راضٍ عنها.

روينا عن أبي الدرداء -رحمه الله- أنه قال: لن يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس كلهم في ذات الله، ثم يعود إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً . (التمهيد)

وقال المازري -رحمه الله- محمل هذا عند بعض العلماء على أنّ القائل قال ذلك ازدراءً بالناس واحتقاراً لهم وإعجاباً بنفسه.

فأما قوله على جهة الإشفاق والتَّفَجُّع لذهاب الصالحين، وتفضيل من مضى من الأولين؛ فإنه خارج عن هذا، والقصد يُعَيَّر أحكام اللفظ، والأوّل عنوان الكِبَر والاستهزاء بالناس وهو مذموم، والثاني عنوان الإشفاق والتَّقْصِير بالنفس وتعظيم السلف؛ وذلك لا يكون مذموماً.

وقال ابن الجوزي -رحمه الله- (فهو أهلُكُم) بضم الكاف، والمعنى: هو أشدهم هلاكاً؛ لأنه إنما قال ذلك لأحد معنيين: إما للإزراء عليهم والاحتقار لهم وتفضيل نفسه، أو للقطع عليهم باستحقاق العقوبة، فكأنه يقنطهم من رحمة الله.

٢- الحذر من الازدراء واحتقار الناس .

٣- الحذر من تقنيط الناس من رحمة الله .

٤- الحذر من سوء الظن بالناس .

٥- النهي عن إطلاق الحكم على الناس بالهلاك، كأن يرى الإنسان كثرة المعاصي فيقول: الناس كلهم هلكوا.

٦- التحذير من العُجب بالنفس واحتقار الآخرين؛ فقد يكون القائل يرى نفسه أفضل من الناس، فيقع في ذنب أشد من بعض ما عابهم عليه.

٧- الحث على الرحمة والنصح بدل اليأس من صلاح الناس؛ فالمؤمن يدعو إلى الخير ويُحسن الظن، ولا يقطع على الناس طريق التوبة.

٨- أن الكلام قد يكون سبباً في هلاك صاحبه .

٤١٦- عَنْ جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ (أَنَّ رَجُلًا قَالَ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ » أَوْ كَمَا قَالَ) .

=====

(عَنْ جُنْدَبٍ) بن عبد الله

(أَنَّ رَجُلًا قَالَ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ) أي: حلف أن الله لا يغفر لفلان من الناس عيَّنه هو.

جاء في رواية أبي هريرة أن القائل رجل عابد ، والباعث على هذا القول شيطان :

الأول : من جهة ما في نفسه من الكبر والتعظم بكون رجلاً عابداً ،

الثاني : من جهة احتقار الشخص بأنه مذنّب عاصٍ .

(وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ) رداً عليه .

(مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ) أي : يحلف عليّ .

(فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ) ترغيماً لأنفك .

(وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ) أي : أبطلت ثوابه .

١- الحديث دليل على تحريم الإقسام على الله، لأن ذلك هضم لحقوق الربوبية والإلهية، ومنافٍ للتوحيد، ففيه التحذير من التألي على الله .

قال أبو العباس القرطبي -رحمه الله-: وقول المتألي (والله لا يغفر الله لفلان) ظاهر في أنه قطع بأن الله تعالى لا يغفر لذلك الرجل، وكأنه حكم على الله، وحجر عليه، وهذه نتيجة الجهل بأحكام الإلهية، والإدلال على الله تعالى بما اعتقد أن له عنده من الكرامة والحظ والمكانة، وكذلك المذنّب من الخسة والإهانة؛ فإن كان هذا المتألي مستحلاً لهذه الأمور، فهو كافر، فيكون إحباط

عمله لأجل الكفر، كما يحبط عمل الكفار، وأما إن لم يكن مستحلاً لذلك، وإنما غلب عليه الخوف فحكم بإفناذ الوعيد، فليس بكافر، ولكنه مرتكب كبيرة، فإنه قانط من رحمة الله، فيكون إحباط عمله بمعنى أن ما أوجبت له هذه الكبيرة من الإثم يُرْبِي على أجر أعماله الصالحة، فكأنه لم يبق له عمل صالح.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- (أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان) وكان هذا الرجل عابداً معجباً بعمله محتقراً لأخيه، الذي رآه مفرطاً، فأقسم أن الله لا يغفر له.

وقال صفى الرحمن المباركفوري -رحمه الله-: قوله (والله لا يغفر الله لفلان) قال ذلك نظراً لسوء أعماله، واستبعاداً منه أن يغفره الله على ذلك.

٢- **قال القرطبي** : فيه تحريم الإدلال على الله تعالى، ووجوب التأدب معه في الأقوال والأحوال، وأن حق العبد أن يعامل نفسه بأحكام العبودية، ومولاه بما يجب له من أحكام الإلهية والربوبية.

٣- قوله (مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ) .

قال عبد الحق الدهلوي -رحمه الله-: وفي هذه العبارة تحويف وتهديد شديد، وفي صورة العيبة دون أن يقول: أنت الذي تتألى، دلالة على التهديد لكل مَنْ يتألى من غير خصوصية بالمخاطب.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- إنَّ مَنْ تَأَلَّى على الله -عزَّ وجلَّ- فقد أساء الأدب معه، وتحجَّر فضله، وأساء الظن به، وكل هذا ينافي كمال التوحيد، وربما ينافي أصل التوحيد، فالتألَّى على من هو عظيم يعتبر تنقصاً في حقه

٤- **قال ابن الجوزي** -رحمه الله- وهذا المتألى جَهْل سعة الكرم، فعُوقب بإحباط العمل.

٥- **قال الشيخ ابن عثيمين** -رحمه الله-: وهذا يدل على أنَّ المسرف عنده حُسن ظن بالله ورجاء له، ولعله كان يفعل الذنب ويتوب فيما بينه وبين ربه... وهذا الرجل الذي قد غفر الله له: إما أن يكون قد وُجدت منه أسباب المغفرة بالتوبة، أو أنَّ ذنبه هذا كان دون الشرك فتفضل الله عليه فغفر له، أما لو كان شركاً ومات بدون توبة، فإنه لا يغفر له؛ لأن الله يقول (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) .

٦- **قال أبو العباس القرطبي** -رحمه الله- قوله (فإني قد غفرتُ لفلان، وأحبطُ عملك) دليل على صحة مذهب أهل السنة: أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنوب (دون شرك) وهو موجب قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) وأن الله تعالى أن يفعل في عبده ما يريد من المغفرة والإحباط؛ إذ هو الفعال لما يريد، القادر على ما يشاء.

٧- اختلف في المراد بقوله (وأحبطت عملك) .

قال النووي -رحمه الله-: فيه دلالة لمذهب أهل السنة في غفران الذنوب بلا توبة إذا شاء الله غفرانها، واحتجت المعتزلة به في إحباط الأعمال بالمعاصي الكبائر، ومذهب أهل السنة أنها لا تحبط إلا بالكفر، ويُتأول حيوط عمل هذا على أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته، وسمي إحباطاً مجازاً، ويحتمل أنه جرى منه أمر آخر أوجب الكفر، ويحتمل أن هذا كان في شرع مَنْ قبلنا، وكان هذا حكمهم .

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- قوله (وأحبطُ عملك) ظاهر الإضافة في الحديث : أنَّ الله أحبط عمله كله؛ لأن المفرد المضاف الأصل فيه أن يكون عاماً، ووجه إحباط الله عمله على سبيل العموم -حسب فهمنا والعلم عند الله-: أنَّ هذا الرجل كان يتعبد لله وفي نفسه إعجاب بعمله، وإدلال بما عمل على الله، كأنه يمتُّ على الله بعمله، وحينئذٍ يفتقد ركنًا عظيمًا من أركان العبادة؛ لأن العبادة مبنية على الدُّل والخضوع... حتى تحقق العبودية.

ويحتمل معنى (أحبطت عملك) أي: عملك الذي كنت تفتخر به على هذا الرجل، وهذا أهون؛ لأن العمل إذا حصلت فيه إساءة بطل وحده دون غيره، لكن ظاهر حديث أبي هريرة يمنع هذا الاحتمال، حيث جاء فيه أن الله تعالى قال: اذهبوا به إلى النار.

٨- قال المظهري -رحمه الله-: وهذا الحديث يحكم بأنه لا يجوز الحكم بأن الله تعالى لا يغفر لفلان أو يعذب فلاناً، وكذلك لا يجوز أن يقال: يغفر الله لفلان جزماً؛ لأن أحداً لا يعلم مشيئة الله وإرادته في عبادته، بل نرجو للمطيع، ونخاف على العاصي، وإنما نجزم القول في حق من جاء فيه نص عن رسول الله ﷺ .

٩- وفي الحديث: تحذير من احتقار أحد من المسلمين، وإن كان من الرعايا؛ فإن الله تعالى أخفى سره في عبادته .
قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- فانظر إلى هذا الرجل؛ تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته، هلك كل عمله وسعيه؛ لأنه حمله إعجابه بنفسه واحتقاره لأخيه، واستبعاده رحمة الله على أن يقول هذه المقالة، فحصل بذلك أن أوبقت هذه الكلمة دنياه وآخرته.

١٠- وجوب التأدب مع الله في الأقوال والأحوال .

١١- بيان سعة فضل الله ورحمته .

١٢- الأعمال بالخواتيم .

١٣- قد يغفر للشخص بسبب غيره .

١٤- تحريم تحجر فضل الله ورحمته .

١٥- تحريم الإقنات من رحمة الله .

١٦- خطر الإعجاب بنفسه ، وفي الحديث (ثلاث مهلكات : ... وإعجاب المرء برأيه) .

١٧- كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعلنا .

١٨- التحذير من الحكم بشقاوة الغير جزماً، ومن النظر إلى الغير حقارة .

١٩- قد يحبط العمل من أجل كلمة .

٢٠- بيان خطر اللسان .

كما في حديث معاذ قال : (قلت : يا رسول الله ، وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس على وجوههم . أو قال على مناخرهم . في النار إلا حصائد ألسنتهم) رواه الترمذي .

وعن سهل قال : قال رسول الله ﷺ (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، يزل بها إلى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب) . رواه البخاري ومسلم

وقال النبي ﷺ (إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم) .

قال ابن القيم -رحمه الله- قال: وأما اللفظات فحفظها بالاً يخرج لفظة ضائعة، بالاً يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظراً؛ هل ربح فائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظراً؛ هل تفوت بها كلمة هي أربح منها فلا يضيعها بهذه؟ "إلى أن قال: "ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقه وشرب الخمر، ومن النظر إلى المحرم وغير ذلك.

ويصعب التحرز من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً، ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول؛ وإذا أردت أن تعرف ذلك فانظر فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان! فقال الله (من ذا الذي يتألى علي أني لا أغفر لفلان؟ قد غفرت له وأحبطت عملك).

فهذا العابد الذي عبد الله ما شاء أن يعبد، أحببت هذه الكلمة عمله كله، ثم قال أبو هريرة -صاحب الرواية الأخرى من الحديث-: "تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

٤١٧- عَنْ هِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ بْنِ حِرَامٍ قَالَ (مَرَّ بِالشَّامِ عَلَى أَنَاسٍ وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ وَصَبَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الزَّيْتُ فَقَالَ مَا هَذَا قِيلَ يُعَذَّبُونَ فِي الْحَرَّاجِ. فَقَالَ أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا) .

=====

(عَنْ هِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ بْنِ حِرَامٍ) ﷺ .

(قَالَ : مَرَّ بِالشَّامِ عَلَى أَنَاسٍ وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ وَصَبَّ) أي : أريق .

(عَلَى رُءُوسِهِمُ الزَّيْتُ) دهن الزيتون .

قال ابن عثيمين : لأن الزيت تشتد حرارته مع الشمس، وهذا عذاب عظيم مؤلم موجه.

(فَقَالَ مَا هَذَا قِيلَ يُعَذَّبُونَ فِي الْحَرَّاجِ) أي: بسبب عدم دفعهم الحراج الذي جعل على أرضهم.

(إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ) يوم القيامة .

(الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا) ظلماً .

١- الحديث فيه الوعيد الشديد لمن يعذب الناس ظلماً وجوراً .

قال القرطبي -رحمته الله-: يعني: إذا عذبوهم ظالمين، إما في أصل التعذيب، فيعذبونهم في موضع لا يجوز فيه التعذيب، أو بزيادة

على المشروع في التعذيب، إما في المقدار، وإما في الصفة، كما بيناه في الحدود. انتهى

وقال النووي -رحمته الله-: هذا محمول على التعذيب بغير حق، فلا يدخل فيه التعذيب بحق، كالقصاص، والحدود، والتعزير، ونحو ذلك .

٢- تحريم الظلم والقسوة .

٣- وجوب الرفق والعدل في معاملة المعاهدين وأهل الذمة وصيانة كرامتهم الإنسانية من الأذى الجسدي والمهانة .

٤ - فضل الصدع بالحق وتذكير الولاة والأمراء بسنة رسول الله ﷺ بالأسلوب الحسن، وسرعة رجوع الحاكم العادل إلى الحق عند سماع النصيحة والحديث النبوي ، فقد جاء في رواية (قَالَ وَأَمِيرُهُمْ يَوْمَئِذٍ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى فَلَسْطِينَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَحَدَّثَهُ فَأَمَرَ بِهِمْ فَخُلُوا) .

٥- ما لا يدخل في الوعيد: إقامة الحدود الشرعية بالصفة التي أذن بها الشارع (كالقصاص أو جلد الزاني أو قطع يد السارق) لأن ذلك تطبيق لأمر الله وبحق شرعي، وكذلك حبس الممتنع عن الحق حتى يؤديه دون تعذيب بدني مفرط، فهذا مستثنى؛ لكونه عقوبة مشروعة لاستيفاء الحقوق وردع الجناة .

- ٦- يُحمل التعذيب في الحديث على عذاب يوم القيامة وعذاب البرزخ، تقريراً لمبدأ (الجزاء من جنس العمل) فمن أذاق الناس حرّ العذاب وألم الهوان في الدنيا، أذاقه الله العذاب الأليم في الآخرة .
- ٧- استنبط العلماء أن كراهية التعذيب وتحريمه قاعدة عامة تشمل الحيوان أيضاً، فإذا كان تعذيب البهائم التي لا تعقل سبباً لدخول النار (كما في الحديث الصحيح عن المرأة التي عُذبت في هرة حبستها حتى ماتت) فإن تعذيب بني آدم -الذين كرمهم الله- أعظم حرمة وأشد وزراً .
- ٨- يبين العلماء أن من استؤمن على الناس ثم جار عليهم أو تعدى في عقوبتهم يكون من أشد الناس عذاباً يوم القيامة؛ لأن السلطة إنما شرعت لإقامة العدل وحفظ الحقوق، لا للتسلط والتشفي .
- ٩- أن الجزاء من جنس العمل؛ فمن عذب عباد الله بغير حق توعدّه الله بالعذاب.
- ١٠- بيان عظم حرمة الظلم، وأن الله سبحانه لا يرضى بإيذاء الناس والاعتداء عليهم.
- ١١- الحث على الرحمة بالخلق؛ فالرحمة والإحسان من الأخلاق التي يحبها الله.
- ١٢- أن التعذيب المحرم ليس خاصاً بنوع معين، بل العبرة بتحقيق الظلم والأذى والتعذيب بغير حق.
- ١٣- في الحديث زجر لمن يتولى أمر الناس عن استعمال القوة والعقوبة بغير حق أو تجاوز الحدود المشروعة.
- ١٨٤- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرَكَهُ فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ) .

=====

- (لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ) صَوَّرَ : بالتشديد: شَكَّل صورته
- قال أبو العباس القرطبي -رحمه الله-: قوله (لما صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ) يعني: أَنَّ الله تعالى لما صَوَّرَ طينة آدم، وشكَّلها بشكله على ما سبق في علمه.
- وقال الصنعاني -رحمه الله-: قوله (لما صَوَّرَ الله آدم) بالتشديد شكل صورته .
- (تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرَكَهُ) لم ينفخ فيه الروح .
- (فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ) قال القرطبي : أي: فلما رآها -أي: طينة آدم- إبليس أطاف بها، أي: دار حولها، وجعل ينظر في كفيته، وأمرها .
- (فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفَ) قال النووي -رحمه الله-الأجوف: صاحب الجوف، وقيل: هو الذي داخله خالٍ.
- وقال الشيخ محمد الأمين الهروي -رحمه الله- (فلما رآه أجوفَ) أي: فارغ الجوف، ليس فيه شيء .
- (عَرَفَ) إبليس .
- (أَنَّهُ) أي : آدم .
- (خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ) قال النووي -رحمه الله-معنى (لا يتمالك) لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات، وقيل: لا يملك دفع الوسواس عنه، وقيل: لا يملك نفسه عند الغضب، والمراد: جنس بني آدم .
- ١- في الحديث كيفية خلق آدم ﷺ .
- ٢- وفيه: بَيَانُ عِدَاوَةِ إِبْلِيسَ لآدَمَ وَدُرَيْتِهِ مِنْ أَوَّلِ مَا خُلِقَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.
- ٣- قوله (عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ) .

معنى : لا يملك .

وقيل : لا يملك نفسه عن الانسياق وراء رغباتها وحبسها عن الشهوات، لافتقار جوفه إلى الطعام والشراب وغيرها .

وقيل : لا يملك نفسه عند هيجان الغضب والانفعال فيخرج عن طور التؤدة والحلم .

وقيل : لا يتقوى بعضه ببعض، بل هو مركب من أبعاد مختلفة، عرضة للتغير والآفات والضعف والتقلب .

قال النووي -رحمه الله-: معنى (لا يملك) لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات، وقيل: لا يملك دفع الوسواس عنه، وقيل:

لا يملك نفسه عند الغضب، والمراد: جنس بني آدم.

وقال الملا علي القاري -رحمه الله-: قوله (لا يملك) أي: لا يتقوى بعضه ببعض، ولا قوة، ولا ثبات، بل يكون مُتَزَلِّزُ

الأمر، مُتَغَيِّرُ الحال، مُتَعَرِّضٌ لِلآفَاتِ ، وقيل: المعنى: لا يقدر على ضبط نفسه من المنع عن الشهوات، وقيل: لا يملك دفع

الوسواس عنه، وقيل: لا يملك نفسه عند الغضب .

وقال المبكفوري -رحمه الله-: قوله (لا يملك) أي: لا يملك نفسه في كفها عن الشهوات، وفي دفع الوسواس، والغضب

ونحوه؛ لأن الجوف يغلبه ويذهب به هنا وهناك .

٤-بيان ضعف الإنسان وطبيعته؛ وقول إبليس (خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ) يدل على أن الإنسان ليس مستغنياً عن ربه، بل هو

مخلوق ضعيف يحتاج إلى حفظ الله وتوفيقه.

٥-التحذير من الاغترار بالنفس؛ فالإنسان مهما بلغ من القوة والعلم يبقى مخلوقاً ضعيفاً.

٦-إثبات وجود إبليس وعداوته لبني آدم، وأن عداوته قديمة وليست طارئة.

٧-الحث على الاستعانة بالله؛ لأن ضعف الإنسان يجعله محتاجاً إلى ربه في كل أحواله.

٨-إثبات سبق خلق آدم على وجود ذريته، وأن أصل البشرية يرجع إلى آدم عليه السلام.

٩-بيان أن إبليس كان موجوداً عند خلق آدم، وأن عداوته للإنسان بدأت مبكراً.

١٠-الإنسان مخلوق ضعيف من جهة طبيعته، فلا ينبغي له أن يتكبر أو يغتر بقوته.

١١-في الحديث تنبيه إلى خطورة الشهوة والهوى، فطبيعة الإنسان وما أودع فيه من غرائز تحتاج إلى ضبط بالشرع.

١٢-أن الابتلاء بالشيطان من سنن الله في هذه الحياة، ولذلك لا يستغرب المؤمن وجود الوسواس والفتن.

١٣-وقد استشكل بعض الناس قوله (في الجنة) مع ما ورد من أنه تعالى خلق آدم من أجزاء الأرض، وأجيب بأنه يحتمل أنه ترك

كذلك حتى مرّت عليه الأطوار واستعدّت صورته لقبول نفخ الروح فيها، ثم حُملت إلى الجنة ونُفخ روحه فيها.

١٩٤- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ (كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ - قَالَ - فَجَاءَ فَحَطَّابِي

حَطَّاءَ وَقَالَ «اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ» قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ - قَالَ - ثُمَّ قَالَ لِي : «اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ» قَالَ

فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ فَقَالَ : لَا أَشْبَعُ اللَّهَ بَطْنُهُ) .

=====

(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَوَارَيْتُ) أي : اختفيت .

(خَلْفَ بَابٍ) وكأنه استحيى من النبي ﷺ وهابه .

(فَجَاءَ) النبي ﷺ .

(فَحَطَّأَنِي حَطَاءً) بفتح الحاء، وإسكان الطاء، بعدها همزة، وهو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين، وإنما فعل ﷺ هذا بابن عباس - رضي الله عنهما - ملاطفةً، وتأنيسًا .

(قَالَ : اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ) بن أبي سفيان الصحابي الجليل ، مات في رجب سنة : ٦٠ هـ .
(قَالَ) ابن عباس .

(فَجِئْتُ) إلى معاوية لأدعوه له ﷺ ، فوجدته يأكل، فرجعت إليه ﷺ .
(قَالَ) ابن عباس .

(ثُمَّ قَالَ لِي) رسول الله ﷺ .
(فَقَالَ : لَا أَشْبِعَ اللَّهَ بَطْنَهُ) سيأتي شرحها إن شاء الله .

١- هل هذا الحديث منقصة للصحابي معاوية ؟

قد بين أهل العلم والشارحون أن هذا الحديث ليس فيه مطعن أو ذم لمعاوية رضي الله عنه، ووجهوا قوله ﷺ : لا أشبع الله بطنه على عدة أوجه معتبرة ، ذكرها النووي بقوله :

قال رحمه الله : أَمَّا دُعَاؤُهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَنْ لَا يَشْبَعَ حِينَ تَأَخَّرَ فِيهِ الْجَوَابَانِ السَّابِقَانِ :
أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ جَرَى عَلَى اللِّسَانِ بِلاَ قَصْدٍ .

وَالثَّانِي أَنَّهُ عُقُوبَةٌ لَهُ لِتَأَخُّرِهِ . وَقَدْ فَهِمَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا لِلدُّعَاءِ عَلَيْهِ ، فَلِهَذَا أَدْخَلَهُ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَجَعَلَهُ غَيْرَهُ مِنْ مَنَاقِبِ مُعَاوِيَةَ لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ يَصِيرُ دُعَاءُ لَهُ . (شرح مسلم)

ولهذا قال الذهبي : قُلْتُ: لَعَلَّ أَنْ يُقَالَ هَذِهِ مَنْقَبَةٌ لِمُعَاوِيَةَ لِقَوْلِهِ ﷺ (اللَّهُمَّ مَنْ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً) .
ولهذا قال الحافظ ابن عساكر : إنه أصح ما ورد في فضل معاوية .

قال الشيخ الألباني في السلسلة: وقد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعنا في معاوية ﷺ، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك، كيف وفيه أنه كان كاتب النبي ﷺ؟! ولذلك قال الحافظ ابن عساكر: إنه أصح ما ورد في فضل معاوية، فالظاهر أن هذا الدعاء منه ﷺ غير مقصود، بل هو ما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية؛ كقوله ﷺ في بعض نسائه (عقرى حلقي) و (تربت يمينك) ويمكن أن يكون ذلك منه ﷺ يباعث البشرية التي أفصح عنها هو نفسه ﷺ في أحاديث كثيرة متواترة. منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ رجلاً، فكلماه بشيء لا أدري ما هو فأغضباه، فلعنهما وسبهما، فلما خرجا قلت: يا رسول الله؛ من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان؟ قال: وما ذاك؟ قالت: لعنتهما وسببتهما ، قال: "أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر، فأبي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرًا. (الألباني)

وبعض العلماء جعل هذا الدعاء لمعاوية فانتفع به في دنياه وآخرته .

قال ابن كثير : وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه :

أما في دنياه : فإنه لما صار إلى الشام أميراً، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكالات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول والله ما أشبع وإنما أعيا، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك.

وأما في الآخرة : فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة. أن رسول الله ﷺ قال (اللهم إنما أنا بشر فأبدا عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك كفارة وقرينة تقربه بما عندك يوم القيامة) فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك . (البداية والنهاية)

تنبيه :

قال الإمام الذهبي: وفسره بعض المحبين قال: (لا أشبع الله بطنه) حتى لا يكون ممن يجوع يوم القيامة؛ لأن الخبر عنه أنه قال: (أطول الناس شعباً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة) لكن رده الذهبي رحمه الله .

٢- معاوية بن أبي سفيان :

هو معاوية بن أبي سفيان -واسم أبي سفيان : صخر- بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي.

ولد ﷺ قبل البعثة بخمس سنين، وأسلم قبل أبيه في عمرة القضاء بعد الحديبية، ولم يظهر إسلامه إلا يوم الفتح سنة ٨ هـ.

وهو أخو أم المؤمنين ، أم حبيبة رضي الله عنهما.

قال الإمام الذهبي: معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين، ملك الإسلام، أبو عبد الرحمن، القرشي، الأموي، المكي.

قال عنه عبد الله بن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: ما رأيت رجلاً كان أخلقَ للملك من معاوية.

قال ابن تيمية: واتفق العلماء أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة وهو أول الملوك، كان ملكه ملكاً ورحمة.

من مناقبه: أنه من كُتَابِ الْوَحْيِ، ومن رُؤَاةِ الْأَحَادِيثِ، وهو خَالُ الْمُؤْمِنِينَ، وخليفةُ الْمُسْلِمِينَ، والمَلِكُ الْقَائِدُ، صَاحِبُ الْفَتْوحَاتِ الإسلامية، وداهيةُ زمانه، شَهِدَ حُنَيْنًا، واليَمَامَةَ، وكان حَسَنَ التَّدْبِيرِ، عَاقِلًا حَكِيمًا، فَصِيحًا بَلِيغًا، وكان كَرِيمًا بَازِلًا لِلْمَالِ، وكان يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ الْمَثَلُ.

من مناقبه : دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :

فَعَنْ عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ، وَفِي الْعَذَابِ). رواه أحمد

ومن دعائه ﷺ لِمُعَاوِيَةَ (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا، وَاهْدِ بِهِ) رواه الترمذي.

وعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: (لَمَّا عَزَلَ عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ عُمَيْرَ بْنَ سَعِيدٍ عَنْ جَمْعٍ وَلَّى مُعَاوِيَةَ؛ فَقَالَ النَّاسُ: "عَزَلَ عُمَيْرًا،

وَوَلَّى مُعَاوِيَةَ!" فَقَالَ عُمَيْرٌ: "لَا تَذْكُرُوا مُعَاوِيَةَ إِلَّا بِخَيْرٍ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اهْدِ بِهِ). رواه الترمذي

ومن مناقبه: أَنَّ عُمَرَ ﷺ وَلَّاهُ عَلَى الشَّامِ، وَأَقْرَهُ عُثْمَانُ ﷺ أَيْضًا مُدَّةَ خِلَافَتِهِ كُلِّهَا .

قال الذهبي رحمه الله: (حَسْبُكَ بِمَنْ يُؤَمِّرُهُ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ عَلَى إِفْلِيمٍ -وَهُوَ ثَعْرٌ- فَيَضْبِطُهُ، وَيَقُومُ بِهِ أَتَمَّ قِيَامٍ، وَيُرْضِي النَّاسَ

بِسَخَائِهِ وَحِلْمِهِ.. فَهَذَا الرَّجُلُ سَادَ وَسَاسَ الْعَالَمِ بِكَمَالِ عَقْلِهِ، وَفَرَطِ حِلْمِهِ، وَسَعَةِ نَفْسِهِ، وَقُوَّةِ دَهَائِهِ.. وَكَانَ مُحِبًّا إِلَى رَعِيَّتِهِ،

عَمِلَ عَلَى نِيَابَةِ الشَّامِ عِشْرِينَ سَنَةً، وَالْخِلَافَةِ عِشْرِينَ سَنَةً؛ بَلْ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ، وَحَكَمَ عَلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ).

ومن فضائله أيضًا: أنه أول من غزا مجاهدًا في سبيل الله على البحر أميرًا، وقد أثنى النبي ﷺ عليهم، فقال: (أول جيش من أمتي

يغزون البحر قد أوجبوا) قال المهلب: وفي هذا الحديث منقبة لمعاوية؛ لأنه أول من غزا البحر، وكان ذلك في وقت إمارته على

الشام في خلافة عثمان ﷺ.

لم يُعرف عنه قبل الإسلام أذى للنبي ﷺ، لا بيد، ولا بلسان.

وهو من مشاهير الصحابة وفضلائهم ﷺ جميعًا .

ومعاوية خال المؤمنين، أخو أم المؤمنين أم حبيبة رُملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها؛ ولذلك قال الإمام أحمد: أقول: معاوية خال المؤمنين، وابن عمر خال المؤمنين.

قال ابن تيمية : ... فإن معاوية ثبت بالتواتر أنه أمره النبي ﷺ كما أمر غيره، وجاهد معه، وكان أميناً عنده يكتب له الوحي، وما اتهمه النبي ﷺ في كتابة الوحي، وولاه عمر بن الخطاب الذي كان من أخبر الناس بالرجال، وقد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، ولم يتهمه في ولايته .

٢- جواز إرسال الصبي المميز في قضاء الحوائج ودعوة الرجال وإيصال الرسائل والاعتماد على خبره .

٣- جواز ترك الصبيان يلعبون بالألعاب المباحة التي لا محذور فيها شرعاً .

٤- تعليم الصغار وتحميلهم بعض المهام المناسبة لأعمارهم؛ فقد طلب النبي ﷺ من أنس أن يدعو معاوية رضي الله عنه .

٥- جواز مازحة الصبي وتأديبه تأديباً يسيراً؛ فقلوه (فحطأني خطأ) يدل على ملاطفته وتعليمه، ولا يدل على الإيذاء.

٦- بيان حلم النبي ﷺ وحسن معاشرته؛ فلم يغضب من انشغال معاوية بالطعام وعدم مجيئه سريعاً.

٧- أن الكلام قد يخرج أحياناً على سبيل الدعاء أو الملاطفة، ولا يلزم أن يكون المقصود منه حقيقة الدعاء على الشخص.

٤٢٠- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ فَضَجَرَتْ فَلَعَنَتْهَا فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ » . قَالَ عِمْرَانُ فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْزُضُ لَهَا أَحَدٌ) .

٤٢١- عَنْ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ . قَالَ (بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَتَضَاقَقَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَقَالَتْ حَلِّ اللَّهُمَّ الْعَنْهَا . قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا تُصَاحِبُنَا نَاقَةً عَلَيْهَا لَعْنَةٌ) .

=====

(بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ) لم يتم تعيين تلك السفرة .

(وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ) وفي حديث أبي برزة (جارية على ناقتها) .

(فَضَجَرَتْ) منها وتعبت ، وكسلت عن السير ، وكأَنَّ الناقة كانت بطيئة السير .

(فَلَعَنَتْهَا) قالت : لعنك الله .

(فَقَالَ) ﷺ .

(خُذُوا مَا عَلَيْهَا) من المتاع والمرأة .

(وَدَعُوهَا) أي : اتركوها مطلقة .

(فَإِنَّهَا) أي : هذه الناقة .

(مَلْعُونَةٌ) لعنتها صاحبها لا أنها ملعونة من الله .

(قَالَ عِمْرَانُ فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْزُضُ لَهَا أَحَدٌ) لعلمهم أنها مهجورة بأمر النبي ﷺ .

(فَقَالَتْ حَلِّ) (حل) كلمة تقال لزجر الإبل حتى تسرع المشي .

١- تحريم لعن الحيوان .

ومن الأدلة :

عن أنس رضي الله عنه قال (سار رجلٌ مع النبي ﷺ ، فلعن بعيه، فقال النبي ﷺ : يا عبد الله، لا تيسر معنا على بغير ملعون). رواه أبو يعلى

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال (كان رسول الله ﷺ في سفر يسير، فلعن رجل ناقّة - وفي رواية: ناقته -، فقال النبي ﷺ: أين صاحب الناقة؟، فقال الرجل: أنا، فقال: أجزها؛ فقد أجيب فيها) رواه أحمد .

٢- ما المراد بقوله (لا تُصاحِبُنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ) .

قال النووي: قَوْلُهُ ﷺ فِي النَّاقَةِ الَّتِي لَعَنَتَهَا الْمَرْأَةُ: (خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّمَا مَلْعُونَةٌ) وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا تُصَاحِبُنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ): إِنَّمَا قَالَ هَذَا زَجْرًا لَهَا وَلَعِبَرَهَا ، وَكَانَ قَدْ سَبَقَ نَهْيُهَا، وَنَهْيُ غَيْرِهَا عَنِ اللَّعْنِ ، فَعُقِبَتْ بِإِزْسَالِ النَّاقَةِ. وَالْمُرَادُ النَّهْيُ عَنْ مُصَاحَبَتِهِ لِتِلْكَ النَّاقَةِ فِي الطَّرِيقِ ، وَأَمَّا بَيْعُهَا وَذَنْجُهَا وَزَكْوُوهَا فِي غَيْرِ مُصَاحَبَتِهِ ﷺ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ الَّتِي كَانَتْ جَائِزَةً قَبْلَ هَذَا: فَفِيهِ بَاقِيَةٌ عَلَى الْجَوَازِ : لِأَنَّ الشَّرْعَ إِنَّمَا وَرَدَ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُصَاحَبَةِ ، فَبَقِيَ الْبَاقِي كَمَا كَانَ" انتهى .

وقال الخطابي: قلت: زعم بعض أهل العلم أن النبي ﷺ إنما أمرهم بذلك فيها لأنه قد استجيب لها الدعاء عليها باللعن: واستدل على ذلك بقول: فإنها ملعونة، وقد يحتمل أن يكون إنما فعل ذلك عقوبة لصاحبته، لئلا تعود إلى مثل قولها" انتهى .

وقال ابن القيم : وَالصَّوَابُ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ عُقُوبَةً لَهَا، لِأَنَّهُ تَعُودُ إِلَى مِثْلِ قَوْلِهَا، وَتَلْعَنُ مَا لَا يَسْتَحِقُّ اللَّعْنَ .

وقال أبو العباس القرطبي -رحمه الله- حَمَلَهُ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى ظَاهِرِهِ، فَقَالَ: أَطْلَعَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى أَنَّ هَذِهِ النَّاقَةَ قَدْ لَعَنَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ اسْتُجِيبَ لِصَاحِبَتِهَا فِيهَا؛ فَإِنْ أَرَادَ هَذَا الْقَائِلُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَعَنَ هَذِهِ النَّاقَةَ كَمَا يَلْعَنُ مَنْ اسْتَحَقَّ اللَّعْنَ مِنَ الْمَكْلُوفِينَ، كَانَ ذَلِكَ بَاطِلًا؛ إِذِ النَّاقَةُ لَيْسَتْ بِمَكْلُوفَةٍ، وَأَيْضًا فَإِنَّ النَّاقَةَ لَمْ يَصْنُدْ مِنْهَا مَا يُوجِبُ لَعْنَهَا.

وإن أراد أنَّ هَذِهِ اللَّعْنَةُ: إِنَّمَا هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ إِبْعَادِ هَذِهِ النَّاقَةِ عَنِ مَالِكِيَّتِهَا، وَعَنْ اسْتِخْدَامِهَا إِيَّاهَا، فَتِلْكَ اللَّعْنَةُ إِنَّمَا تَرْجِعُ لِصَاحِبَتِهَا؛ إِذْ قَدْ حِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَالِهَا، وَمُنَعَتْ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ، لَا لِلْنَّاقَةِ؛ لِأَنَّمَا قَدْ اسْتَرَاحَتْ مِنْ ثِقَلِ الْحَمْلِ وَكَدِّ السَّيْرِ.

فإن قيل: ففعل معنى لعنة الله الناقة أن تُترك ألا يَتَعَرَّضَ لها أحدٌ، فالجواب: أن معنى تَرَكَ النَّاسَ لها إنما هو أنهم لم يُؤْذَوْهَا إِلَى رَحَالِهِمْ، وَلَا اسْتَعْمَلَوْهَا فِي حَمْلِ أَثْقَالِهِمْ، فَأَمَّا أَنْ يَتْرُكُوهَا فِي غَيْرِ مَرْعَى وَمِنْ غَيْرِ عِلْفٍ حَتَّى تَهْلِكَ فَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، ثُمَّ هُوَ مُخَالِفٌ لِقَاعِدَةِ الشَّرْعِ فِي الْأَمْرِ بِالرَّفْقِ بِالْبَهَائِمِ وَالنَّهْيِ عَنْ تَعْذِيبِهَا.

وإنما كان هذا منه ﷺ تَأْدِيبًا لِصَاحِبَتِهَا، وَعُقُوبَةً لَهَا فِيمَا دَعَتْ عَلَيْهَا بِمَا دَعَتْ بِهِ . (المفهم)

٣- وبالجملة: فالنبي ﷺ نَهَى عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ؛ لِيَتَعَوَّدَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حِلَاوَةِ الْأَلْفَافِ، وَطِيبِ الْأَقْوَالِ، وَتَجَنُّبِ السَّخَطِ، وَبِذَاءِ الْكَلَامِ، وَكَانَ هَذَا هُوَ حَالُ السَّلَفِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَقُولُ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ: سَمِعْتُ أَبَا الْجَوَازِ يَقُولُ: "مَا لَعَنْتُ شَيْئًا قَطُّ، وَلَا أَكَلْتُ شَيْئًا مَلْعُونًا قَطُّ، وَلَا آذَيْتُ أَحَدًا قَطُّ .

٤- لا يترتب على اللعن تحريم أكل لحم الحيوان المأكول، ولا خروجه من ملك صاحبه، ولا تحريم بيعه والانتفاع به في غير مصاحبة تلك الرفقة .

٥- إدراك خطورة اللعن؛ فإذا كان محظوراً ومغلظاً في حق بهيمة لا تعقل ولا تملك دفعاً عن نفسها، فمنعه وزجره في حق المسلم من باب أولى وأعظم .

٦- التحذير من الغضب وسوء الخلق؛ فالمرأة لعنت الناقة بسبب ضجرها، فأنكر النبي ﷺ ذلك.

٧- رحمة النبي ﷺ ورفقه؛ فلم يكتفِ بالنهي عن اللعن، بل أمر بالألا تُسْتَعْمَلَ الناقة بعد أن لُعنت.

٨- أن اللعن أمر خطير، ولذلك قال ﷺ عن الناقة (فإنها ملعونة) وأمر أن يُترك ما عليها.

٩- جواز التأديب بالهجر أو ترك الانتفاع بالشئ عند وجود المصلحة؛ فقد أمر النبي ﷺ بترك الناقة زجراً وتأديباً لصاحبته.

١٠- حرص الصحابة على نقل التفاصيل؛ فعمران بن حصين رضي الله عنه ذكر أثر ذلك فقال : فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد .

١١- أن من الخطأ مقابلة الضيق والابتلاء بالسخط واللعن، بل ينبغي للمسلم أن يضبط لسانه عند الغضب.

١٢- أن المسلم ينبغي أن يصون لسانه عن الألفاظ السيئة، حتى في حال الغضب أو المشقة.

فائدة :

جاء في غذاء الألباب : **وَيُحَرَّمُ لَعْنُ الدَّابَّةِ** قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: قَالَ الصَّالِحُونَ: لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ قَالَ فِي الْفُرُوعِ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِيمَنْ شَتَمَ دَابَّةً: قَالَ الصَّالِحُونَ: لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ عَادَتُهُ.